التنقيبات البولونية في تدمر، عام ١٩٦٢

بقلم كازيميرز ميخالوفسكي

تعريب وتلخيص عدنان البني

تمهيد :

جرى الموسم الرابع للتنقيبات البولونية في تدمر بين ٢٥ نيسان و ١١ مايس ١٩٦٢ . واستخدمنا في معسكر ديوقلسيان ووادي القبور ١٥٠ عاملاً و ٤ شاحنات كبيرة وشاحنة صغيرة .

قامت السيدة فيلارسكا بالإشراف على ورشة معسكر ديوقلسيان وأسهمت في إعداد سجل الآثار والعناصر المعمارية . كما أشرف السيد جاكوبيليسكي على التنقيب في وادي القبور وإنشاء سجل الصور . وساعدني السيد مارسينياك في يوميات التنقيب وفي وضع هذا التقرير بالإضافة إلى فهرس الكتابات المكتشفة . أما المخططات والمقاطع ورسوم التفاصيل المعمارية فهي من عمل مهندس البعثة السيد أوستراش . وقد قام السيد بينيوسكي بأخذ الصور الفوتوغرافية وأنجزت السيدة ميخالوفسكا رسم اللقى الفخارية .

وفي تنظيم الورشة قدم لنا السيدان عبيد الطه والسيد علي الطه مساعدة قيّمة .

وإننا لمدينون بالشكر العميق للدكتور سليم عادل عبد الحق المدير العام للآثار والمتاحف الذي يسّر لنا، شأنه في كل مرة، عملنا سواء في تدمر أو في متحف دمشق .

معسكر ديوقلسيان

بين الباب الكبير الذي نقبنا فيه عام ١٩٦١ [١] ، وهيكل الأعلام ساحة مستطيلة (٦٢ × ٤٤٫٥ م) سميناها « الفوروم » (المخطط ١) [٢] . وهذه الساحة ترتفع ١٫٥ م عن سوية عتبة الباب البرايتوري التي اعتبرناها نقطة الصفر في تنقيبات المعسكر . ولم تجر في هذه الساحة من قبل أية أسبار . وقد رأى ويغاند صفاً من الأعمدة في الجانب الشرقي من الساحة فافترض خطأً ، أن هناك رواقاً يدور بالساحة من كل جهاتها .

☆ ☆ ☆

اكتشفت غربي أساس الباب الكبير ، تحت السوية الحالية للساحة مساكن وأفران . وتدل الجدران المكتشفة حتى الآن ، على محور يختلف عن محاور جميع مباني هذا الحي من المدينة ، فلا بد أننا أمام أوابد تعود لعصر سابق لتنظيم هذا الحي . والحجارة التي بنيت بها المساكن تشبه الحجارة شبه المضلّعة التي شيدت بها المدافن الأبراج التي تعود للقرن الأول (الشكل ١) وقد ملئت الحلول بين الحجارة بالحجارة الصغيرة والطين . وقد بقي من الجدران أجزاء يتراوح ارتفاعها بين ٣٠ - ١٠٠ سم أما عرضها فهو حوالي متر . أما أرضية البيوت فهي من الطين الممزوج بالرماد وبعضها يظهر فيه الملاط الجصي . وهناك في الغرفة الجنوبية بأحد البيوت القائمة أمام منحدر الباب الكبير استخدم بلاط من الحجر الكلسي الوردي . وجنوبي هذه الغرفة ظهرت جزئياً بيوت أخرى منها غرفة كبيرة في إحدى زواياها تنور وفيها بعض الأواني الفخارية . وقد نقبت جنوبي هذه الغرفة أيضاً غرفتان ، الغربية منهما لها مدخل شمالي ، ويصل بين الغرفتين مدخل .

---

(١) ك . ميخالوفسكي ، تدمر ، الجزء الثالث ومجلة الحوليات الأثرية السورية المجلد ١١ ، ١٩٦١ ، ص ٦٣ - ٨٢ .

(٢) راجع المخططات والصور والهوامش في المقال الأصلي في القسم الأجنبي من المجلة (المعرب) .

ان هذه المنشآت تتميز بشيء جدير بالذكر . ففي أكثر غرفها قساطل طينية موضوعة فوق بعضها عمودياً (الشكل ٢) .

وقد استخدمت بعض الجدران كأساسات للجدران الذي شيد عليه الرواق القائم غربي الباب الكبير وتُردُّ الكسر الفخارية الوفيرة التي التقطت في هذه البيوت للقرنين الأول والثاني وهي عبارة عن أجزاء سرج وقوارير وقصعات ومطرات مماثلة لما يعثر عليه في مدافن هذين القرنين .

وهناك بين الجدار الذي يقوم عليه الرواق وجدار الباب الكبير ، جنوبي المنحدر ، ثلاثة أفران ضخمة متماثلة تقريباً داخلة جزئياً في الجدران (الشكل ٣) مشيدة من ألواح قرميدية عريضة مسطحة ولهذه الأفران شكل مستطيل مستدير من إحدى جهاته ، وتضيق جدرانها في الأسفل بشكل مَعْجَن . ونجد في الجانب الشمالي من الفرن الثاني قوساً من الآجر هي لا شك فتحة الفرن . وكانت قيعان الأفران مملوءة بطبقات من النفايات المتفحمة تتناوب مع طبقات من الرماد . ويظهر أن هذه الأفران معاصرة للبيوت التي تكتنفها من حيث سويتها وارتباطها بها وقد أشار السيد شلومبرجه إلى أفران الخبز المرتبطة بالمعابد التي عثر عليها في جبل شاعر ومرزوقة (إقليم تدمر) ونرى أنها شبيهة بما عثرنا عليه . ونحن نتساءل أليس من المحتمل أن تكون هناك علاقة بين هذه الأفران والغرف وبين معبد اللات المجاور الذي يعود أيضاً للقرن الثاني كما جاء في نص تدمري نشره كانتينو .

وليس لدينا من المعطيات الأثرية ما يساعدنا على معرفة عصر هذه المباني سوى حجارة البناء فهي كما ذكرنا تشبه حجارة البنـــاء في جدران المدافن الأبراج التي تعود للنصف الأول من القرن الأول . إذ في نهاية القرن الأول ، أخذت المباني التدمرية تشاد بالحجارة المنتظمة المربّعة . فهناك إذن قرن كامل بين التاريخ الذي تعطيه النصوص لمعبد اللات وبين هذه المباني . كما أن محور اللات يختلف عن محورها فمن المحتمل إذن وجود معبد أقدم الإلهة نفسها في المكان نفسه . حتى أن شكل بعض تيجان الأعمدة يرده إلى القرن الأول . وعلى كل حال لعل من المخاطرة

أن ننساق في فرضيات لا تدعمها المعطيات الأثرية الصحيحة ، قبل القيام بالتنقيب في هذا المعبد ومع ذلك يخيل إلينا أن من المفيد أن نلمح إلى هذه العلاقة الموجودة في هاتين المجموعتين من الأوابد

☆ ☆ ☆

وبما أن هذه الناحية قد جرت فيها تغيرات هامة فقد وضعنا أربع ورشات في الفوروم كي نبين توضع الطبقات والعلاقات التاريخية بين القطاعات المنقبة خلال المواسم السابقة وبين المجموعة القائمة بين الباب الكبير و هيكل الاعلام . وقد ألمحنا لبعض الملاحظات المتعلقة بأساسات الباب الكبير في تقريرنا عن الموسم السابق ، وقد عمّقنا التنقيب فظهر أن هذه الأساسات هي عبارة عن جدار مشيد بالحجارة الصغيرة والطين وأجزاء بعض المنحوتات التدمرية الجنازية التي تعود للدورين الثاني والثالث من أدوار النحت التدمري ، الأمر الذي يعود ببناء الباب الكبير إلى عهد لا يمكن أن يكون سابقاً لمنتصف القرن الثالث . أما الأفران والبيوت فقد استخدمت جدرانها كأساسات لهذا البناء فهي أقدم عهداً بشكل واضح .

وجنوب المدخل الرئيسي في الباب الكبير نجد أن حجارة المدماك العلوي للجدار ، الذي جعل بمثابة أساس لهذا الباب ، هي منتظمة ولكنها صغيرة الحجم مربعة وفوق الأساسات تقوم الحجارة الكبيره المنتظمة التي تشكل بنية هذا الجدار من الخارج أي من الشرق . وفي هذا المكان عثر على ١٠ رؤوس من تماثيل جنازية تدمرية تعود للدور الثاني من أدوار النحت التدمري (الشكلان ٥ ـ ٦) وقد حشرت كلها في فجوة واحدة . وهذه الرؤوس تعود لأسرة واحدة (الشكلان ٧ ـ ٨) والنساء مصففات الشعر على النسق الروماني . وإننا لنفترض أنه في عهد بناء الجدران التي تحد الفوروم في عهد ديوقلسيان كان قد تهدم قبر لأسرة رومانية فخبأت تماثيله في هذا المكان .

أما جدار الأساسات شمالي الباب الكبير فقد وضع على سوية أعلى من سوية الجهة الجنوبية . والأرض تنحدر انحداراً خفيفاً نحو الجنوب . وعلى ذلك فإن جدران الأساسات كلها في الجزء

الشمالي من الفوروم تقوم على سوية أعلى من سوية الجهة الجنوبية . وجدار الأساس تحت الباب الكبير ، المبني من الصفائح الحجرية الكبيرة يمتد ٤ م شمالاً و ٤ م جنوباً ، أي تحت المدخلين الجانبيين وهو من الجهة الشمالية ، مع جميع المنشآت في هذه الجهة ، أقل شأناً مما هو عليه في الجهة الجنوبية . وليس هناك من أثر للجدران في الجهة الشمالية وهناك فقط الأساسات نستعين بها على تحديد مخطط المكان .

وعلى العكس ففي الجهة الجنوبية هناك أجزاء محفوظة الى ارتفاع ١٫٥٠ تقريبا . وغربي الباب الكبير هناك بقايا رواق معمد يؤدي إليه منحدر المدخل الرئيسي . وخلافاً لما كان يظن ويغاند فان هذا الرواق لا يتجاوز طوله ٣١ متراً ويعادل تماماً طول جدار الأساس الذي يقوم فيه الباب الكبير (المخطط ١) إن طول الرواق وطول جدار الأساس تحت الباب الكبير يعادل الجدران الخارجية للغرف التي تستمد من الجهتين الجنوبية والشمالية الى جدران الرواق الذي يساير الطريق البرايتوري بين التترابيل والباب الكبير ، وقد استخدمت جدران المنازل القديمة في الجهة الجنوبية جزئياً كأساسات للرواق . وبدلالة الحجارة التي بنيت بها هذه الأساسات فاننا نفترض أن الجزء الأوسط من الرواق قد عاني تعديلات كبيرة ، أو أنه بني فيما بعد ، أي في عهد بناء المنحدر . ومع ذلك فلعل هذا الاستنتاج سابق لأوانه . وفوق مداميك أساس الرواق ما تزال خمسة قواعد أعمدة متآكله قائمة حتى الآن .

والوضع الذي اقترحه ويغاند للأعمدة أمام الباب الكبير غير مؤكد تماماً . أما الأعمدة فقد وجدناها خلال الموسمين واقعة في ساحة الفوروم على سوية المنازل القديمة التي كانت مختفية تحت الأرض عند سقوط الأعمدة . ولعل نزول الأعمدة الى سوية تلك البيوت قد حدث تدريجياً بنتيجة الأمطار . وعلى كل حال إن منحدر النزول نحو الغرب من الباب الكبير يدل على أن أرض الساحة تنحدر تدريجياً بين الباب الكبير وهيكل الأعلام وقد سويت اصطناعياً لإخفاء بقايا البيوت القديمة التي كانت في تلك الباحة . كما أن هذه الساحة تنحدر أيضا نحو الجنوب . وعلى هذا نجد كل جدران الجهة الجنوبية لها أساسات أعمق ، وهي أكثر متانة من جدران

الجهة الشمالية . فالجدران التي تحد الساحة « الفوروم » من الجهة الجنوبية هي في الوقت نفسه جدران دعم وتسوية لهذه الساحة . وحجارة الجدار الجنوبي كبيرة منتظمة (الشكل ١١) وفي أساسات هذا الجدار عثر على ٢٠ كسرة من تماثيل جنازية . وهو يستند إلى الزاوية الجنوبية الشرقية من جدار هيكل الأعلام . وهناك باب ضيق قرب زاوية المعبد يؤدي الى الفوروم من الجهة الجنوبية .

ووراء الجدار الجنوبي المذكور آنفاً غرف مستطيلة (الشكل ١٢) ومن المحتمل أن تكون هذه الغرف استخدمت كمستودعات أو غرف للجنود الذين كانوا معسكرين في معسكر ديوقلسيان . وفي الزاوية الجنوبية الشرقية لهذه الغرف حيث تنخفض سوية الأرض أعد مرحاض مستطيل للجنود (الشكل ١٣) مرتبط بقناة تصريف منحدرة نحو الجنوب وهناك بلصق الجدار الجنوبي بئر تزود المرحاض بالمياه .

التنقيب في وادي القبور

استهدف التنقيب في وادي القبور **المدفن ـ البرج رقم ١٥ والمدفن الأرضي تحته** ، وكان محفوفاً بالصعوبات نظراً لتهدم عقد المدفن الارضي . ثم إن هذا المدفن قد نهب قبل تهدمه ، فلم يبق فيه سوى أجزاء من المنحوتات الجنازية وبعض السرج والأواني والكسر الفخارية . وقد حطمت فتحات المعازب وامتلأت الهياكل العظمية بالرمال .

وهذا المدفن ـ البرج يقع غربي البرج رقم ١٩ وجنوبي برج ايلابل (المصور ٢) وهو مشاد كالبرج ١٩ بكتل الحجارة الكبيرة (٥٠ × ٦٠ سم) (الشكل ١٧) والفراغات بينها مملوءة بالحجارة الصغيرة والمونة . وفي الجدران الأربعة طاقات صغيرة للنور ولعل هذه الطاقات كانت مجهزة من الداخل بمشربيات حجرية مخرّمة .

ومدخل البرج قائم في الجدار الشرقي (١٦٥ × ٨٥ سم) له درجة واحدة . وعلى عتبة هذا المدخل عثرنا على رأسي تمثالين ملونين (الشكل ١٨ ـ ١٩) وكان ويغاند قد أشار إلى

عقد فوق الطابق الأرضي للبرج (الشكل ٢٠) وهذا العقد يغطي الجانب الأيسر من الطابق الأرضي الذي عثرنا فيه الى يسار المدخل على بقايا سرير جنازي (الشكل ٢١) وكان أمامه جرن حجري . أما السقف فوق السرير فقد كان مغطى بالبلاطات الحجرية . ويمكن تقسيم الطابق الأرضي (مستطيل ١ × ٢,٤٥ م) الى أربعة أجزاء .

آ ـ المدخل والمصطبة الصغيرة التي يصعد منها درج دوار للطوابق العليا .

ب ـ الدرج أمام المدخل الرئيسي للبرج وهو ينزل للمدفن الأرضي .

ج ـ السرير الجنازي وهو من أحدث العناصر التي تم انشاؤها في البرج .

د ـ الغرفة الصغيرة المعقودة السقف .

أما الدرج الدوار فقد بقي منه ما يعادل ارتفاع الطابق الأول وهناك قبر طفل مقابل درجته الثالثة وآخر مقابل درجته الثانية في الطابق الأول . وكل درجة (٦٥×٢٠ سم) منحوتة من الحجر الكلسي الرمادي ومغطاة بالبلاط الجصي . وعلى مقربة من الدرج عثر على كتابتين محزوزتين في الملاط إحداهما مائلة جداً ، والأخرى محفوظة جيداً . ويمكن أن نستنتج منها أن البرج يعود للعام الثاني والعشرين بعد الميلاد ترجيحا .

وتحت الدرج الدوار معزبتان على الغالب . وفي مقابل المدخل نرى الدرج الذى ينزل الى المدفن الأرضي (الشكل ٢٢) هو مؤلف من ١٥ درجة على نسق درجات الدرج الدوار ومزين في أسفله بعضادتين من الحجر الكلسي ، كان فوقهما افريز مسنن وملون بالأحمر . ويؤدي الدرج الى مصطبة ويتفرع منها غرباً الجناح الرئيسي (٢٠ , ١٦ × ١,٤٥ م) والدهليزان العرضانيين ، وارتفاع العقد حوالي ٣٠ , ٢ م . والجدران مغطاة بالبلاط الجصي . هذا والدهليزان الجانبيان ينخفضان ٥٥ سم عن الجناح الرئيسي . والأيمن منهما فيه أربع معازب في الجدار الغربي واثنتان في الجدار الشرقي واثنتان غير تامتين في صدر الدهليز .

أما الدهليز الأيسر ففيه ثلاث معازب في الجدار الغربي ومعزبة واحدة في صدره . والقبور داخل المعازب مشيدة بالآجرات الكبيرة ومغلقة بألواح الآجر (٤٠ × ٤٠ سم) .

وكان مخطط المدفن الأرضي فيه بالإضافة إلى الدهليزين الجانبيين أربعة دهاليز فرعية لم يتم حفرها إلا جزئياً . وبين الدهاليز في الجناح الرئيسي كانت هناك ٧ معازب. أما الصدر فقدتهدم فلا نعلم كم كان فيه من المعازب .

الخلاصة إن البرج المرتبط بمدفن أرض هو أقدم فئات المدافن التدمرية . وبشكل عام إن المدفن ـ البرج ـ ١٩ الذي نقبناه في العام الماضي والمدفن ـ البرج ١٥ ـ الحالي متشابهان من حيث مخططها ، وكذلك الشبه قوي جداً من حيث منحوتاتها الجنازية التي تساهم في دراسة النحت التدمري في أقدم أدواره . وإننا لنعتقد أن كلاً من المدافن ـ الأبراج العتيقة ، التي تعود لمطلع القرن الأول الميلادي والتي تتميز بحجارتها شبه المضلعة ، له مدفن أرضي مرتبط به ومن المحتمل أن مخطط تلك المدافن الأرضية المرتبطة بتلك الأبراج مماثل لمخطط المدفن الأرضي في البرجين ١٥ و ١٩ .

تعريب وتلخيص : عدنان البني